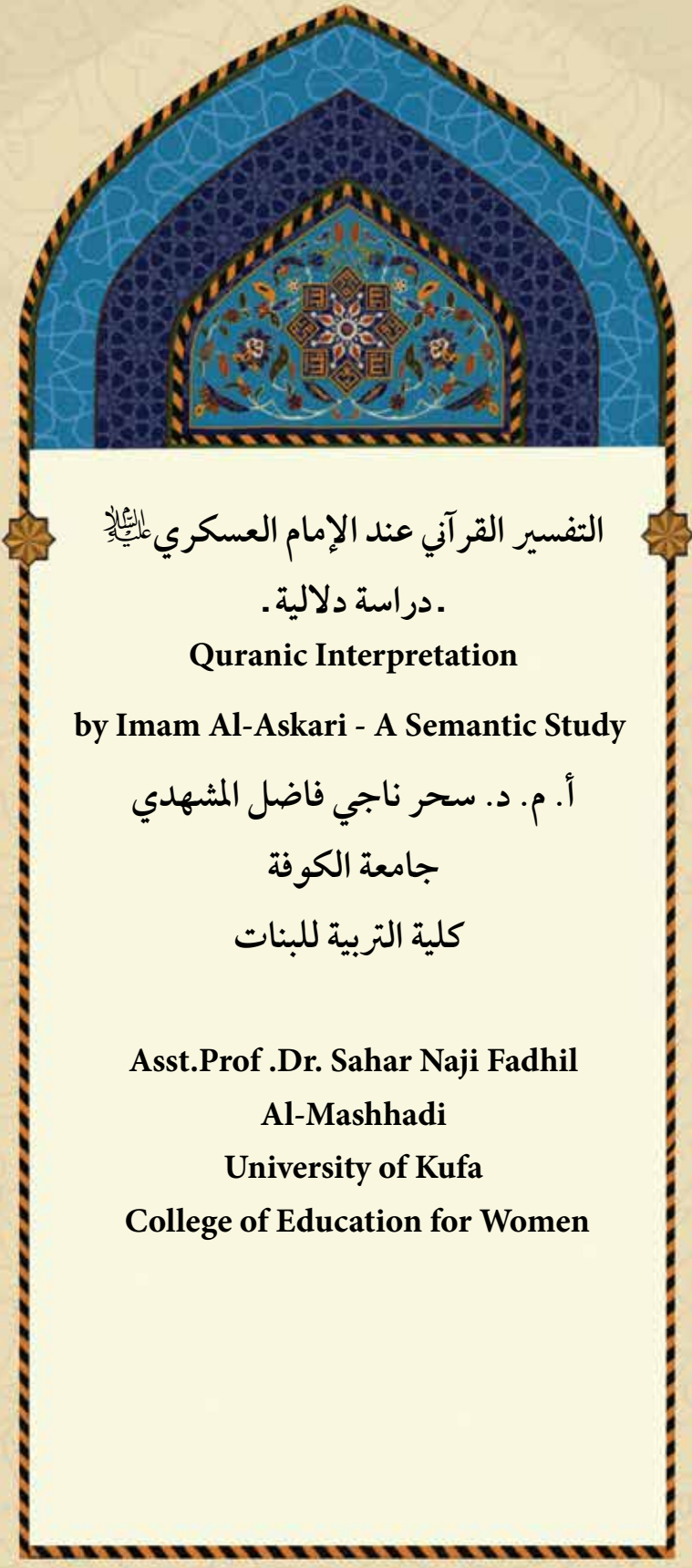




التفسير القرآني عند الإمام العسكري عليه السلام

.دراسة دلالية .

Quranic Interpretation

by Imam Al-Askari - A Semantic Study

أ.م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي

جامعة الكوفة

كلية التربية للبنات

Asst.Prof .Dr. Sahar Naji Fadhil

Al-Mashhadi

University of Kufa

College of Education for Women

التفسير القرآني عند الإمام العسكري عليه السلام

. دراسة دلالية .

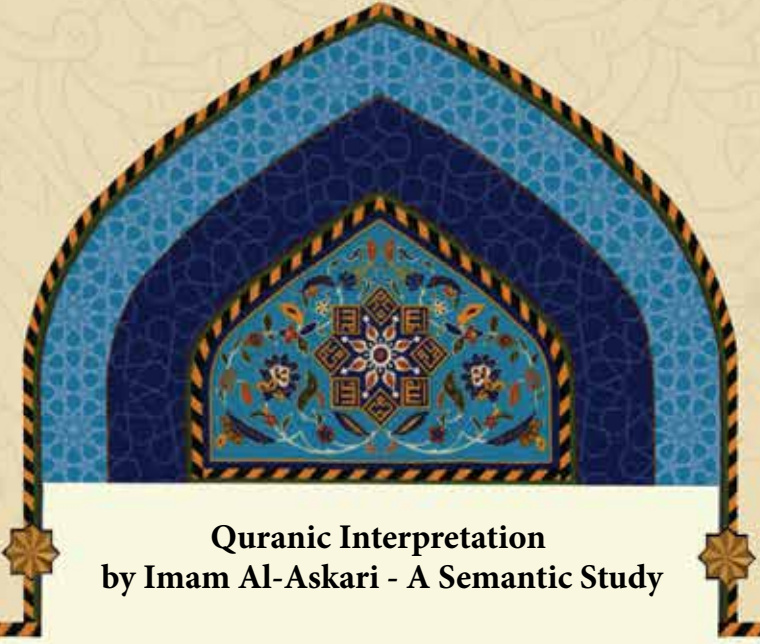
الملخص:

يسعى بحثنا إلى دراسة فريدة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في التفسير القرآني لبعض الألفاظ، والتي سجّلت فرادته في التفسير الذي نُسب إليه، ففي انتهائه إلى البيت النبوي العظيم تمثيل لفكر العترة الطاهرة التي تجسدت فيها المبادئ والقيم التربوية والأخلاقية في تفسيراتها، ورواياتها، ولا رتباطهم الوثيق بالرسول الأعظم.

ولتفسير الإمام العسكري مزية وخصوصية وفريدة عظيمة تميز بها عن بقية التفاسير؛ فحين نتصفحه نجد الردود المسكتة للفرق الإسلامية المختلفة، ومنها: الدهرية، والثنوية، واليهودية والنصرانية، بل والمشرّكين أيضاً، وفيه تفسيره لمعظم الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم ولها علاقة بأهل البيت عليهم السلام كتفسيره للفظ الأبوين في القرآن الكريم، وفي روايات أهل البيت عليهم السلام ما يؤكد صحة تفسيره لقول رسول الله ﷺ: "أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ"، وفيها أيضاً ما يؤكد التوجيه التربوي والخُلقي الذي جاء في القرآن الكريم، والنهي عن العادات والقيم المجتمعية السيئة، ومنها نهيه عن الجدل بغير حق، وقسم على مبحثين حمل الأول منهما سيرته المباركة، ودرس ثانيهما تفسير الإمام العسكري عليه السلام على وفق توجيهات معيّنة، والدراسة على وفق المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية:

الإمام العسكري عليه السلام، التفسير القرآني، التفسير اللغوي، الاشتقاق.



Quranic Interpretation by Imam Al-Askari - A Semantic Study

Abstract:

The study aims to examine the uniqueness of Imam Hasan Al-Askari (PBUH) in the Quranic interpretation of certain terms, which showed his distinctiveness in the interpretation. His belonging to the great Hashemite household represents the thought of the pure progeny, in which the principles, educational and moral values were embodied in their interpretations and narrations due to their close connection with the Greatest Messenger (peace be upon him and his pure household).

Imam Al-Askari's interpretation has a great advantage, specificity, and uniqueness that distinguishes it from other interpretations. When we examine it, we find the silencing responses to various Islamic sects, including the Dahriyya (fatalists), the Dualists, the Jews, the Christians, and even the polytheists. It includes his interpretation of most of the terms mentioned in the Quran that are related to the Ahl Al-Bayt (prophet's household) (PBUT) , such as his interpretation of the term "parents" in the Quran. In the narrations of the Ahl Al-Bayt (PBUT), there is confirmation of his interpretation based on the saying of the Messenger of Allah (peace be upon him and his household): "I and Ali are the fathers of this nation." It also confirms the educational and moral guidance that came in the Quran, and the prohibition of bad societal habits and values, including his prohibition of arguing without right. The study is divided into two sections: the first section includes his blessed biography, and the second one studies the interpretation of Imam Al-Askari (PBUH) according to specific guidelines, using a descriptive analytical approach.

key words: Imam Al-Askari (PBUH), Quranic Interpretation, Linguistic Interpretation, Derivation.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه إلى قيام الدين.

وبعد،

تمثل المرويات التفسيرية للإمام العسكري عليه السلام منظومة تربوية متكاملة في تفسيره بطريقة يفهم المتمعن معها للخطاب القرآني قصده في تعدد وجوه الخطاب في القرآن الكريم، وقد ذكر المفسرون وجوه هذا الخطاب بدلالات وصور مختلفة، وأولوها حسب النوع، فكان منه خطاب عام وخطاب خاص، ومنه خطاب الله لأنبيائه ومرسله، وخطاب الذات الإلهية مع الأنبياء، ثم خطاب الأنبياء مع أقوامهم ودعوتهم إلى عبادة التوحيد.

وقد نالت سيرة أهل البيت عليهم السلام أهمية خاصة وبخاصة في الأوساط الشيعية المخلصة؛ ولما للإمام الحسن العسكري عليه السلام من أهمية كبيرة في التفسير الذي نُسب إليه على الرغم من قطع الأمر - حسب وجهة نظر بعض الباحثين - بعدم صحة نسبة التفسير إليه، فقد رأى بعض الباحثين ضعف السند والمتن والدراسة لمضامين

متنوعة من التفسير الواردة فيه. وقد اختلف العلماء في مسألة قبوله أو رفضه فأنقسموا فيه بين المؤيد لبعضه والمنكر لبعضه الآخر كالغضائري والعلامة الحلي والمحقق الداماد. ومن المتأخرين السيد الخوئي رحمته الله؛ اعتبار جميع ما في الكتاب، ومن أنصار هذا القول الشيخ الحر صاحب الوسائل، والمجلسيَّان الأب والابن وصاحب المستدرک^(١)، وبعضهم جانب التفصيل فبعضه معتبر والآخر مردود، حاله حال سائر الكتب التي فيها المقبول وفيها غيره، ومن المتبئين لهذا الرأي الشيخ الداوري.

وتكمن أهمية البحث في تضمنه الروايات المتعددة التي تثبت دلالات بعض الألفاظ القرآنية في تثقيف الأمة؛ فنجد الإمام مفسراً دقيقاً لأمر دقيقة ومسائل علمية كثيرة قد تكون في بعض منها مسائل علمية وفي بعضها الآخر لغوية وقد تكون لمحات تربوية، وفي جميعها يتضح لنا علم أهل البيت الذي تناقلوه أباً عن جدٍ وهكذا حتى تصل رواياته إلى نبينا الكريم (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله).

(١) الميرزا النوري، خاتمة المستدرک، ج ٥، ص ١٨٦.



وقد تصفحت هذا السفر الخالد من تراثه الفذ؛ فوجدت فيه معيناً خصباً للدراسة في ضوء سيرته العطرة، وتتجلى فيه الدلالات التربوية الهادفة السامية التي صدرت لشيعته والتثقيف والتمهيد لظهور ولده الحجة القائم المنتظر المهدي عليه السلام؛ لإقامة دولة العدل الإلهي على يديه الشريفتين، وبالرغم من ظروف الإقامة الجبرية التي حاصرتة وقيدته، فقد كان ممهداً للظهور.

أقول: إن بناء الشخصية الإنسانية المتكاملة تتطلب من الفرد تحمل أعباء مسؤولية كبيرة للنهوض بمستقبل تتحقق فيه مبادئ التربية لإعداد منظومة أخلاقية شاملة قادرة على تحقيق مفهوم التنمية ونمّا ورد من أقوال الإمام العسكري عليه السلام: «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله» ^(١).

أولاً: سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته

لقد عاش الإمام سيرة آبائه وأجداده، فرسم صورة مشرقة لكل معاني الإسلام السامية الذي حاول بنو العباس أن يخفوها، فاضطهدوه ومن قبله والده بل وأجداده؛ إلا أن التاريخ خلد تلك المواقف فقد اتخذ من السجن مقاماً ومحراباً فوق برعاية إلهية وفي هذا البحث ما يثبت أنه مفسر ومبين ومتذوق ما يناسبه المقام.

فكشف عن العلاقة الدلالية بين النص القرآني والمقام، وستعرض دراستنا لجوانب من تلك القيم التربوية الهادفة والتي تمثل بدورها الفيض الإمامي العسكري. وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق، ج ٣، ص ٢٥ - ٣٥.

(٢) القمي، الميرزا محمد المشهدي، كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ٣، ص ٦٠.

(٣) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٢٩٠.



المجلد الحادي عشر
العدد السادس
٢٠٢٥ هـ / ٢٠٢٥ م

والزكي والنقي والهادي جميع هذه الألقاب
تعكس صفاته الحسنة، وكُنِّيَ بأبي محمدٍ
والأغلب بينهم ابن الرضا^(٣).

وروى الكليني عن جماعة من
بني هاشم «أنهم حضروا - يوم توفي
محمد بن علي بن محمد - باب أبي الحسن
يعزونه، وقد بسط له في صحن داره
والنساء جلوس حوله، فقالوا: قدرنا أن
يكون حوله من آل أبي طالب وبني هاشم
وقريش مائة وخمسون رجلاً سوى مواليه
وسائر الناس، إذ نظر إلى الحسن بن علي قد
جاء مشقوق الجيب، حتى قام عن يمينه
ونحن لا نعرفه، فنظر إليه أبو الحسن عليه السلام
بعد ساعة فقال: يا بني أحدث الله عز وجل
شكراً، فقد أحدث فيك أمراً، فبكى الفتى
وحمد الله واسترجع، وقال: الحمد لله رب
العالمين وأنا أسأل الله تمام نعمه لنا فيك
وإنا لله وإنا إليه راجعون. فسألنا عنه،
فقال: هذا الحسن ابنه، وقدرنا له في ذلك
الوقت عشرين سنة أو أرجح، فيومئذ
عرفناه وعلمنا أنه قد أشار إليه بالإمامة
وأقامه مقامه»^(٤).

المحرقة، ص ١٢.

(٣) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦،
ص ٩٢.

(٤) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ / ٨

أبو محمد، ولقّب بألقاب عديدة، ومنها:
العسكري، والسراج، والخالص، وليس
له ولد سوى محمد بن الحسن، وهو الحجة
المنتظر، وولد في السادس من شهر ربيع
الأول، وقيل: في العاشر من ربيع الثاني بين
عامي (٢٣١ و ٢٣٢هـ) في مدينة «سر من
رأى»، ودفن مع أبيه الإمام علي الهادي،
وعمره الشريف تسع وعشرين، وأقام مع
أبيه الهادي ٢٣ سنة وأشهر قليلة، وبقي
بعده خمس سنين وشهور^(١).

وأجبر على الإقامة في «سر من
رأى» التي بناها المعتصم؛ ليبقى تحت
أنظار السلطة الحاكمة وأعين الطاغية
العباسي، وانتقل إليها بعسكره فأطلق
عليها «العسكر»، ونسب الحسن إليها؛ لأن
المتوكل أشخص أباه علياً الهادي إليها،
وأقام عشرين سنة وتسعة أشهر، ونسب
هو ووالده إليها - نسب الإمام علي الهادي
والإمام الحسن إلى «مدينة العسكر سر من
رأى»^(٢)، ومن ألقابه الأخرى الصامت

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٩٤،
وينظر: مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان،
ص ٢٤٩، المسعودي، أبي الحسن علي، مروج
الذهب، ج ٤، ص ١٦٠.

(٢) المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب،
ج ٢، ص ٥٧١، وينظر: الهيثمي، الصواعق



العدد الحادي عشر
المسألة السادسة
١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٥ م

وكان الإمام بعد أبي الحسن علي ابنه أبا محمد الحسن بن علي؛ لاجتماع خلال الفضل فيه، وتقدمه على كافة أهل عصره، فيما يوجب له الإمامة، ويقتضي له الرياسة^(١).

ولما توفي الإمام الحسن العسكري خلفه ابنه محمد المنتظر، وكان قد أخفى مولده، وستر أمره، لصعوبة الوقت، وشدة الطلب له، واجتهاد السلطة الحاكمة في البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الإمامية، وعرف من انتظارهم له، فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته، لذلك لم يره «إلا الخواص من شيعته»^(٢)، وقد اشتهر الإمام عليه السلام بالعفاف والكرم والنبل فكانت أخلاقه تستمد من أخلاق جده المصطفى^(٣).

ويروى أن السلطان العباسي سجن الإمام العسكري عليه السلام عند رجل يدعى «صالح بن وصيف» فوكل به رجلين من باب الإشارة والنص على أبي محمد عليه السلام.

(١) ينظر: الشيخ المفيد، الإرشاد، ص ٣٣٤ - ٢٣٨

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص ٣٤٥، وينظر: الاردبيلي، إعلام الوري، ص ٣٦٠. ٨٢٤٨.

(٣) مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، ص ٢٤٩.

الأشرار بقصد إيذائه والتضييق عليه، وأصبحا بمعاشرة الإمام من الصلحاء الأبرار. فقال لهما صالح: ويحكم ما شأنكما في هذا الرجل؟ قالا: ماتقول في رجل يصوم نهاره، ويقوم ليله كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، وإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا، ودخلنا ما لا نملكه من أنفسنا^(٤).

ومن الملاحظ المهمة في حياة الإمام العسكري عليه السلام أن الكثير شكك في أمره، فمن نسب الآراء غير الصحيحة في حقّه: أن دوره ليس كدور أجداده، فلم يرو عنه إلا القليل، ولعل من بين أسباب ذلك قصر فترة إمامته زيادة على أنه كان حبيسا، والحقيقة أن لبيئة الإمام وظرفه السياسي الذي عاشه خصوصية ميزته عن بقية آبائه عليهم السلام من جهة الرواية عنه.

وشهد عصر الإمام ظهور الفرق الإسلامية التي انقسمت على ما يزيد على عشرين، وليس من بين الأئمة التسع من ولد مولانا الإمام الحسين عليه السلام من أجمع الشيعة على إمامته. وبلغ الاختلاف أشده - بعد وفاة الإمام الحسن العسكري - إذ ترى فرق أنه لم يعقب، وشارك بعض (٤) مهران، محمد بيومي، الإمامة وأهل البيت، ج ٣، ص ٣١٢-٣١٣.



المجلس التأسيسي
الاستشاري
الاسلامي
م ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

إفادة تعريف ابن جني (ت ٣٩٥هـ) بأنها: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(٢)

فوظيفة اللغة الأساسية البيان والتوضيح.

وإلى جانب البيان أشار المحدثون بأنّ الإنشاء والإخبار والقدرة على التواصل لنقل الخبرة والمعرفة من وظائفها الأخرى^(٣).

ففي النص تتجلى الإشارات الدقيقة التي لا تقيد المعاني المعجمية حسب القراءة للنص، والعمل الإبداعي يوازي عمل النشأ أو المبدع؛ فالنص يبحث عن أب يتبناه وهو القارئ^(٤).

لقد عالج الإمام العسكري عليه السلام بفكره الثاقب اللغة على أنّها نص أوضح من خلالها الوصول إلى دلالات المعنى العميق؛ فنجد محلاً ومفسراً وقارئاً

أهل السنة في هذا القول - كابن حجر الهيتمي - معارضة منهم في العقيدة المهدوية بمفهومها الشيعي، واستندت في ذلك إلى أن «جعفر بن الهادي» قد طالب بميراث أخيه الحسن بعد موته، لما ادّعى الإمامة بعده هذا. وقد توقفت طائفة عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعدته القائم المنتظر، وذهبت أخرى إلى بطلان الإمامة من بعده، فليس في الأرض حجة من ذرية النبي ﷺ، وإنما الحجة في الأخبار الواردة عن الأئمة المتقدمين^(١).

وكان الإمام العسكري عليه السلام ممهداً لولده القائم، فمرّ التشيع في مدّة إمامته أشبه ما يكون بمرحلة الحضنة؛ لظهور "عقيدة المهدي"، ولم يقتصر التمهيد عليه؛ بل كان أيضاً مع زوجته "مليكة بنت يسوع ابن قيصر" ملك الروم، ووالدتها من نسل الحواريين، ويتصل نسبها بـ "شمعون" وصي المسيح عليه السلام.

ثانياً: التفسير القرآني في فكر الإمام عليه السلام:

١. دلالات من التفسير اللغوي:

لقد أشار علماء اللغة إلى تعريفات عديدة إلى اللغة إلا أنّ أشهرها وأكثرها

(٢) الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٣.

(٣) أبو زيد، نصر حامد، اشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص ٥٣.

(٤) الغدامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتفكير من النبوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، ص ٤٩.

(١) مهران، محمد بيومي، الإمامة وأهل البيت، ج ٣، ص ٣١٢-٣١٣.



العدد الحادي عشر
المسألة السادسة
١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٥ م

ومتذوقا للنص القرآني؛ فكشف عن الدلالات الجمالية والإخبارية النورانية؛ كآيات التي تتحدث عن الأنبياء والامم الماضية والحوادث الحالية والمستقبلية، ومن بين الملامح اللغوية التي أشار إليها في تفسيره:

• اختلاف المعنى في اللغة:

لقد حاول اليهود التنكيل بشخص الرسول الكريم (صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله) بتفسير بعض المفردات القرآنية، ومن بينها لفظ (راعنا) فمعناها في لغة اليهود (الشتم) ومعناها في لغة المسلمين (طلب الرعاية والحفظ أي: انظرونا)، فالأصل في معنى الراعي هو الوالي، ومن يتولى أمر الرعية يقوم بمهمة الولاية؛ يقول ابن فارس: «الراء والعين والحرف المعتل أصلان: أحدهما المراقبة والحفظ، والآخر الآخر الرجو. فالأوّل رَعَيْتُ الشَّيْءَ، رَقَبْتَهُ وَرَعَيْتَهُ، إِذَا لَاحَظْتَهُ. وَالرَّاعِي الْوَالِي»^(١) وقد استطاع الإمام العسكري عليه السلام من توضيح التوجيه الدلالي لتفسيره الدقيق بدليل نقلي وهو قول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «وكانت هذه اللفظة: (راعنا) من ألفاظ المسلمين

(١) زكريا، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (مادة رعى)، ج ٢، ص ٤٠٨.

الذين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون: راعنا (بالكسر) أي: إرعَ أحوالنا، واسمع منا كما نسمع منك. وكان في لغة اليهود معناها: اسمع لاسمعت، فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله يقولونها ويخاطبون بها قالوا: إِنَّا كُنَّا نَشْتُمُ مُحَمَّدًا إِلَى الْآنَ سِرًّا، فَتَعَالَوْا الْآنَ نَشْتُمُهُ جَهْرًا. وكانوا يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولون: راعنا بالفتح، ويريدون شتمه. ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ، أَرَأَيْكُمْ تَرِيدُونَ سَبَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَتَوَهُمُونَا أَنْكُمْ تَجْرُونَ فِي مَخَاطِبَتِهِ مَجْرَانَا، وَاللَّهُ لَا سَمْعَتَهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ، وَلَوْ لَا أَنِي أَكْرَهُ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْكُمْ قَبْلَ التَّقَدُّمِ وَالِاسْتِيزَانِ لَهُ وَلِأَخِيهِ وَوَصِيهِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقِيمَ بِأُمُورِ الْأُمَّةِ نَائِبًا عَنْهُ فِيهَا، لَضَرَبْتُ عُنُقَ مَنْ قَدْ سَمِعْتَهُ مِنْكُمْ يَقُولُ هَذَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة النساء / ٤٦.

ويعني: فإنها لفظة يتوصل بها



المجلد الحادي عشر
العدد السادس
١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

(وجائز أن يكون معناه الفقير، أي: اتخذه محتاجاً فقيراً إلى ربه، وقيل للصدّاقة: خُلّة؛ لأن كل واحد منهما يَسُدُّ خَلْلَ صاحبه في المودّة والحاجة إليه. والخَلُّ: الذي يُؤْتَدَم به يسمّى خَلّاً؛ لأنه اختلّ عنه طعم الخلاوة)^(٣).

ورأى الراغب تسمية ابراهيم بالخليل؛ لافتقاره إليه في كل حال^(٤).

وهناك من رأى أنّه من الخلّة لا من الخلّة، ومن قاسه بالحبيب أخطأ؛ لان الله يجوز أن يحب عبده فإن المحبة منه الثناء ولا يجوز أن يخاله، وهذا منه اشتباه، فإن الخلّة من تخلل الود نفسه ومخالطته^(٥).

والخَلِيلُ، كَالِخِلِّ، وقولهم: إبراهيم عليه السلام خليلُ الله، قال ابنُ دُرَيْدٍ: الذي سمعت فيه أن معنى الخَلِيل: الذي أَصْفَى المودّة وأصَحَّها، قال: ولا أزيد فيه شيئاً^(٦) وخَلِيلُ الرَّجُلِ: قَلْبُهُ عن أبي (٣) الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج ٦، ص ٣٠٤.

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ١٥.

(٥) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ١٥.

(٦) ابن سيّدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٤، ص ٥١٧.

أعداؤكم من اليهود إلى شتم رسول الله ﷺ، وقولوا: (انظرونا)، أي استبدلوا هذا اللفظ ولا تنادوه بلفظة راعنا، فلا يمكنهم أن يتوصلوا بها إلى الشتم كما يمكنهم بقولهم راعنا^(١).

قال سعد بن عبادَة الأنصاري وهو رجل من الأنصار لليهود: لئن قالها رجل منكم للنبي صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فوعظ الله عزّ وجلّ المؤمنين، فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للنبي ﷺ راعنا بل قولوا: انظرونا)^(٢).

وهذا ما جاء في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ما ثبت رد ودحض تأويل اليهود لما ذهبوا إليه من التنكيل بالرسول.

• الاختلاف في أصل الاشتقاق (الخلّة والخلّة):

ومنه تفسير معنى لفظ (الخليل) بين المحبّ الذي ليس في محبّته خَلَل. والمحبّة التامة التي لا خَلَلَ فيها، يقول الرَّجَاج:

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٤٧٩ وينظر: البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٢) الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ص ٤٧.



الْعَمَيْثِلِ الْأَعْرَابِيِّ، وَأَنْشُد:

وَلَقَدْ رَأَى عَمْرُو سَوَادَ خَلِيلِهِ

مِنْ بَيْنِ قَائِمِ سَيْفِهِ وَالْمِعْصَمِ^(١).

والخلة بضم الخاء تعني المحبة والخلة بفتح الخاء وتعني الحاجة، واستعملت بمعنى الصداقة؛ لأنّ كل واحد من المتصادقين يسدّ خلل صاحبه وقيل: لأنّ كل واحد منهما يطلع صاحبه على أسرارهِ وكأنّه في خلل قلبه واستعمل في الحاجة للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج إليه^(٢)،

ومنه قول زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة

يقول لا غائب مالي ولا حرم

وقال الزهري: الخليل الذي خصّ بالمحبة، ومنه قولهم: دعا فلان فخلل: أي: خصّ^(٣) أي: محبا لا خلل في مودته لكمال خلته. والمراد بخلته الله أنه كان مواليا لأولياء الله، ومعاديا لأعداء الله. والمراد (١) ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، ج ٤، ص ٥١٧.

(٢) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٩٩.

(٣) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٩٩.

بخلة الله تعالى له: نصرته على من أراد به سوء، كما أنقذه من نار نمرود، وجعلها عليه بردا وسلاما، وكما فعله بملك مصر، حين راوده عن أهله، وجعله إماما للناس، وقدوة لهم، والخليل الحبيب؛ لأن الله أحبه في كسره الأصنام، وجداله قومه، واتخذ الله إبراهيم خليلا قبل ذبح ابنه، فلما رآته الملائكة حين أمر بذبح ابنه، أراد المضي على ذلك، قالت الملائكة: لو أن الله عزّ وجلّ اتخذ عبدا خليلا لاتخذ هذا خليلا محبا، ولا يعلمون أن الله عزّ وجلّ اتخذهُ خليلا^(٤) لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ سورة النساء: ١٢٥.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «لقد حدثني أبي الباقر عن جدي علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عن النبي، وقال رجل من النصاري: يا محمد، أولستم تقولون: إنّ إبراهيم خليل الله، فاذا قُلتَ ذلك فلم منعتمونا أن نقول: إنّ عيسى ابن الله؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّهما لم يشتبها؛ لأن قولنا: إنّ إبراهيم خليل الله فإنما هو مشتق (٤) الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١، ص ٢٦٣.



العدد الحادي عشر
السنّة السادسة
١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

وإنما خصّه الله بهذا الاسم، وإن كان الخلق كلهم فقراء إلى رحمته، تشریفاً له من حيث أنه فقير إليه، لا يرجو لسدّ خلته سواء كما خصّ موسى بأنه كليم الله، وعيسى بأنه روح الله، ومحمداً بأنه حبيب الله. وقيل: سمي خليلاً؛ لأنه سبحانه خصّه بما لم يخص به غيره، من إنزال الوحي عليه، وغير ذلك من خصائصه. وإنما خصّه من بين سائر الأنبياء بهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما، وإن كان كل واحد من الأنبياء خليل الله في زمانه؛ لأنه سبحانه خصهم بالنبوة.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «قد اتخذ الله صاحبكم خليلاً - يعني نفسه» قال: وكل ما تعبد الله به إبراهيم فقد تعبد به نبينا ﷺ وزاده أشياء لم يتعبد بها إبراهيم عليه السلام^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام كان إبراهيم يضيف الضيفان ويطعم المساكين وإن الناس أصابهم جَدْب، فارتحل إبراهيم إلى خليل له بمصر يلتمس منه طعاماً لأهله فلم يصب ذلك عنده، فلما قرب من أهله مرَّ بمفازة ذات رمل لينة فملاً غرائره من ذلك الرمل؛ لئلا يغم أهله برجوعه من

(٢) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٠٠.

من الحُلَّة والحُلَّة؛ فأما: الحُلَّة فمعناها الفقر والفاقة، فقد كان خليلاً وإلى ربه فقيراً وإلى ربه منقطعاً وعن غيره مُتَعَفِّفاً مُعْرَضاً مُسْتَعْنِياً، وذلك لما أريد قذفه في النار فُرِمي به في المنجنيق بعث الله تعالى جبرئيل، وقال له: أدرك عبيدي. فجاءه فلقاه في الهواء، فقال له: كلّفني ما بدا لك فقد بعثني الله تعالى لنصرتك. فقال: بل حسبي الله ونعم الوكيل، إني لا أسأل غيره، ولا حاجة لي إلاّ إليه، فسماه خليله، أي فقيره والمنقطع إليه عمّن سواه، وإذا جعل معنى ذلك من الحُلَّة، فهو قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره، كان معناه العالم به وبأمره، ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه. ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلم أمره لم يكن خليله، وإنّ من يلده الرجل، وإن أهانه وأقصاه لم يخرج عن أن يكون ولده لأنّ معنى الولادة قائم^(١).

ويرى الزجاج أن يكون سمي خليل الله بأنه الذي أحبه الله، بأن اصطفاه محبة تامة كاملة، وأحب الله محبة تامة كاملة، وقيل: سمي خليلاً لأنه افتقر إلى الله، وتوكل عليه، وانقطع بحوائجه إليه؛

(١) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٣٣.



• لفظ الأمِّي:

اختلف في معنى (الأمِّي) بين اللغويين والمفسرين، وعُرفَ بأنَّه: «المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه، أي لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب أمي؛ لأن الكتابة هي مكتسبة فكأنه نسب إلى ما يولد عليه»^(٣)، وقيل: كل من لا يقرأ ولا يكتب^(٤) وله معان أخرى أيضاً.

ومن لا يكتب ولا يقرأ أمي لأنه على جبلته التي ولدته أمه قلة كلام وعجمة لسان. وكثرت المؤلفات التي تتحدث عن أمية الرسول وتعددت الأقوال وتنوعت بين من يقول لا يقرأ ولا يكتب، وقد فُسر قوله تعالى: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» سورة البقرة: ٧٨

فالأمِّي المنسوب إلى أمه، أي هو لا يعرف شيئاً، تماماً كما خرج من بطن أمه لا يقرأ ولا يكتب لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ الْمُنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا الْمَكْدَبَ بِهِ، وَلَا يُمَيِّزُونَ

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٤

(٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: صاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ج ٢، ص ٤٨٧ وينظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٢، ص ٣٤.

غير مبرة، فحول الله ما في غرائره دقيقاً؛ فلما وصل إلى أهله دخل البيت ونام استحياء منهم؛ ففتحو الغرائر، وعجنوا من الدقيق وخبزوا وقدموا إليه طعاماً طيباً فسألهم: من أين خبزوا؟ قالوا: من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري، فقال: أما إنه خليلي وليس بمصري. فسماه الله سبحانه خليلاً^(١).

فقد اتَّخَذَهُ اللهُ (سبحانه وتعالى) خليلاً لإطاعته ورضاه، فغير محتاج إلى خلة أحد، فهو مستغن عن جميع الخلق، والخلق محتاجون إليه، فقد ردّه على اليهود الذين أرادوا مقابلة التمثيل بعيسى ابن الله مقابلاً لابراهيم بأنه خليله.

وبالتالي فإن معاني (الخلة) لا تخرج عن معاني الحاجة وسميت الحاجة خلة؛ لاختلال الحال بها كأنها صار بها خلل يحتاج إلى سدّه، ومن معانيه أيضاً الخصلة التي يحتاج إليها، والمودة التي تتخلل الأسرار معها^(٢).

(١) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٢) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص ٢٢٣.



العدد الحادي عشر
السنّة السادسة
١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م

تَعَصَّبُوا أَزَالُوا حُقُوقَ مَنْ تَعَصَّبُوا عَلَيْهِ،
وَأَعْطُوا مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ -
مِنْ أَمْوَالٍ غَيْرِهِمْ وَظَلَمُوهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ.
وَعَرَفُوهُمْ بِأَنَّهُمْ يُقَارِفُونَ الْمُحَرَّمَاتِ،
وَاضْطَرُّوا بِمَعَارِفِ قُلُوبِهِمْ - إِلَى أَنْ مَنْ
فَعَلَ..

• تفسيره (الظلمات والنور):

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾
الانعام / ١ .

عن الإمام العسكري عليه السلام قال: «قال
أمير المؤمنين عليه السلام: أنزل الله «فكان في هذه
الآية رد على ثلاثة أصناف: لما قال: «الحمد
لله الذي خلق السموات والأرض» رد على
الدهرية فقالوا: إن الأشياء لا بدء لها وهي
دائمة و«جعل الظلمات والنور» رد على
الثنوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما
المديران «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون»
رد على مشركي العرب فقالوا إن أوثاننا
آلهة، فأنزل الله «قل هو الله أحد» ففيها رد
على كل من ادعى أن الله ضداً أو نداً»^(١)

راوي تفسير الامام العسكري أبو
يعقوب سأل الامام هل للرسول والامير

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٥٤٢.

بَيْنَهُمَا إِلَّا أَمَانِيَّ أَيْ إِلَّا أَنْ يُفْرَأَ عَلَيْهِمْ وَيُقَالَ
لَهُمْ: هَذَا كِتَابُ اللَّهِ وَكَلَامُهُ، لَا يَعْرِفُونَ إِنْ
قُرِئَ مِنَ الْكِتَابِ خِلَافَ مَا فِيهِ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَظُنُّونَ أَيْ: مَا يَقُولُ لَهُمْ رُؤَسَاؤُهُمْ - مِنْ
تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي بُنَوْتِهِ، وَإِمَامَةِ عَلِيٍّ عليه السلام
سَيِّدِ عِزَّتِهِ، وَهُمْ يَقْلُدُونَهُمْ مَعَ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ
عَلَيْهِمْ تَقْلِيدُهُمْ.

قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عليه السلام: فَإِذَا كَانَ
هَؤُلَاءِ الْعَوَامُ مِنَ الْيَهُودِ لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ
إِلَّا بِمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ - لَا سَبِيلَ لَهُمْ
إِلَى غَيْرِهِ، فَكَيْفَ ذَمُّهُمْ بِتَقْلِيدِهِمْ وَالْقَبُولِ
مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَهَلْ عَوَامُ الْيَهُودِ إِلَّا كَعَوَامِنَا
يُقْلِدُونَ عُلَمَاءَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَجْزِ لِأُولَئِكَ الْقَبُولُ
مِنْ عُلَمَائِهِمْ، لَمْ يَجْزِ لَهُؤُلَاءِ الْقَبُولُ مِنْ
عُلَمَائِهِمْ. فَقَالَ عليه السلام: بَيْنَ عَوَامِنَا وَعُلَمَائِنَا
وَبَيْنَ عَوَامِ الْيَهُودِ وَعُلَمَائِهِمْ فَرْقٌ مِنْ
جِهَةٍ وَتَسْوِئَةٍ مِنْ جِهَةٍ، أَمَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ
اسْتَوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَمَّ عَوَامِنَا بِتَقْلِيدِهِمْ
عُلَمَاءَهُمْ كَمَا ذَمَّ عَوَامَهُمْ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ
إِنَّهُمْ افْتَرَقُوا فَلَا. قَالَ: بَيْنَ لِي ذَلِكَ يَا ابْنَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ عليه السلام: إِنَّ عَوَامَ الْيَهُودِ
كَانُوا قَدْ عَرَفُوا عُلَمَاءَهُمْ بِالْكَذِبِ الصَّراحِ،
وَبِأَكْلِ الْحَرَامِ وَبِالرِّشَاءِ، وَبِتَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ
عَنْ وَاجِبِهَا - بِالشَّفَاعَاتِ وَالْعِنَايَاتِ
وَالْمُصَانَعَاتِ. وَعَرَفُوهُمْ بِالتَّعَصُّبِ الشَّدِيدِ
- الَّذِي يُفَارِقُونَ بِهِ أَديَانَهُمْ - وَأَنَّهُمْ، إِذَا



آيات تضاهي آيات موسى عليه السلام؟ فقال الامام: «علي عليه السلام نفس رسول الله وآيات رسول الله آيات علي عليه السلام وآيات علي عليه السلام آيات رسول الله، فعصا موسى انقلبت ثعبانا فلقت عصيهم وحبالهم؛ فالسنين ونقص الثمرات دعا الرسول على مضر فابتلاهم الله بالقحط والجوع فاجتمعت خمسة أديان: اليهود والنصارى والدهرية والثنوية ومشركو العرب^(١).

• تفسيره للفظ (الشجرة) وهي شجرة آل محمد عليه السلام، وتعني علمهم:

جاء ذكر الشجر في القرآن الكريم؛ للدلالة على مدح وفخر وتشريف بني هاشم، فقد وُضعت فيهم كرائم النبوة والإمامة، ولصورة الشجرة الجميلة المعهودة باستقامتها وتداخل أغصانها وهيئتها العالية التي جاءت في القرآن الكريم تمثيلاً لأهل البيت عليهم السلام وهي الشجرة نفسها التي نهى الله عن الأكل منها التي فيها علم محمد وآله الطاهرين في قوله تعالى: ﴿وَيَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة الأعراف: ١٩

(١) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٣٩٠.

يقول ابن فارس: (الشين والجميم والراء أصلان متداخلان، يقرب بعضهما من بعض ولا يخلو معناهما من تداخل الشَّيء بعضه في بعض، ومن علو في شيء وارتفاع)^(٢)؛ فشجرة علمهم من الأصل وهو رسول الله.

وقد اختلف في جنس هذه الشجرة، وتعددت الآراء في جنسها بين أن تكون (البرء، أو العنب، أو التين، أو العنَّاب، أو سائر أنواع الفواكه والثمار والأطعمة؛ فلذلك اختلف فيها، فقليل: بُرَّة، وقيل: عنب، وقيل: تينة. وقيل: عُنَّابَة. وعن الإمام علي عليه السلام: هي شجرة الكافور. وقيل: شجرة العلم وفيها من كل شيء، وقيل: السنبل. وقيل: الحبل، وهي الأصل من أصول الكرم، وقيل: شجرة التين^(٣).

وقد يتساءل البعض عن هذه الشجرة هل هي حقيقة أو رمز لشيء آخر، ونجد ابتداء النص القرآني هيأ لأن يتفكر ويتبصر الانسان في معاني هذه الشجرة،

(٢) زكريا، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة (مادة شجر)، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٣) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، ص ١٨٢.

وعن إمامنا جعفر الصادق عليه السلام قوله: «يا أبا بصير، نحن شجرة العلم، ونحن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وفي دارنا مهبط جبرئيل، ونحن خزان علم الله، ونحن معادن وحي الله، من تبعنا نجا، ومن تخلف عنا هلك، حقا على الله عز وجل»^(١).

فقد قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ تَلْتَمِسَانِ بِذَلِكَ دَرَجَةً مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّهُمْ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - أُلْهِمَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ، وَمَنْ تَنَاوَلَ مِنْهَا بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ - خَابَ مِنْ مُرَادِهِ وَعَصَى رَبَّهُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ بِمَعْصِيَتِكُمَا وَالتَّيَّاسِكُمَا دَرَجَةً قَدْ أُوتِيَ بِهَا غَيْرُكُمَا - إِذَا أَرَدْتُمَاهَا بِغَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ. وَهِيَ شَجَرَةٌ تَمِيزُ مِنْ بَيْنِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، إِنْ سَاطَرُ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ كَانَ كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يَحْمِلُ أَنْوَاعًا مِنَ الثَّمَارِ وَالْمَأْكُولِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ وَجَنَسُهَا تَحْمِلُ الْبَرَّ وَالْعَنَبَ وَالتِّينَ وَالْعِنَابَ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ الثَّمَارِ وَالْفَوَاكِهَ وَالْأَطْعَمَةِ؛ فَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ الْحَاكُونَ لَهَا»^(٢).

(١) القمي، علي بن بابويه، الإمامة والتبصرة، ص ١٧٣.

(٢) النجفي، شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة، ص ٤٨.

فقد آثرهم الله وخصّهم بها دون غيرهم؛ فلا يتناول منها بأمره تعالى إلا هم فقد كان نبي الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (سلام الله عليهم) بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير فلا يحسّوا بجوع أو عطش أو تعب؛ لذلك تميزت هذه الشجرة من بين أشجار الجنة^(٣).

• تفسيره للفظي الفراش والبناء:

من معاني الفرش البسط والنزول وفيه الفاء والراء والشين أصل صحيح يدلّ على تمهيد الشيء وبسطه^(٤).

وفسر الراغب بأنّه تعالى جعل الأرض فراشاً تذليلاً للعباد فلا نتوء فيها كناية عن الاستقرار عليها^(٥)؛ ففي معنى (جعل لكم الأرض فراشاً) دلالة على جواز الانتفاع بالأرض على أي وجه كان من السكنى والزراعة والعمارة وحفر الأنهار وإجراء القنوات وغيرها من وجوه الانتفاعات إلا ما أخرجه الدليل^(٦). فقدم

(٣) تفسير الإمام العسكري، ص ٢٢٩.

(٤) زكريا، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٤٨٦.

(٥) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ص ١٢٩.

(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٢،



العدد الحادي عشر
المسألة السادسة
١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٥ م

الأرض وجعلها فراشاً للإنسان، والفراش مصدر، قال الإمام العسكري في تفسيره لقول الله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» سورة البقرة/ ٢٢.

وفسر الإمام عليه السلام معنى البسط والفراش؛ ملائمة طباعكم، وموافقة أجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا قوية الريح فتصدع هامكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في الحرث والبناء والحفر، ولكنه - سبحانه وتعالى - جعلها من المتانة ما تنتفعون به، وجعل فيها من اللين ما تنقاد لحرثكم، وكثير من منافعكم. وأما معنى السماء بناء، فهو حفظها بالشمس والقمر والنجوم، وانتفاع الناس بها. ثم أنزل المطر من علو؛ ليلبغ الجبال والتلال، والهضاب والوهاد، وفرقه رذاذا ووابلا وطلا، لتنتفع الأشجار والزرع والشمار، ثم رتب الله - سبحانه - على ذلك، وحدانيته وقدرته ونفى الأنداد والأمثال^(١).

ص ٩٨

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ١٥٠.

٢. دلالة التفسير التربوي:

يرتبط أفراد المجتمع الواحد ببناء واحد متكامل إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد، ويشكل هذا البناء حازوا أمام أي تهديد خارجي يحيط بالعالم، وقد انبرى أئمتنا من أهل البيت عليهم السلام وبالاخص الامام العسكري عليه السلام مسؤولا تربويا؛ لينبه ويرشد ويؤثر في المجتمع بالرغم من بعده عن شيعة المخلصين؛ فكان رافد معينه الخصب ثريا بالمفاهيم التربوية التي انصبت من تراث الأمة الإسلامية والتي أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فمنهج الامام الحسن العسكري عليه السلام يمثل منهج أبيه وأجداده في وضع مبادئ وأهداف لأخلاق تربوية مجتمعية في أقوالهم وأفعالهم وتفسيراتهم للمبادئ القرآنية السامية ومن بين تلك اللمحات التي أشار إليها الإمام:

• احترام الوالدين:

قرن الإمام العسكري عليه السلام الوالدين بالنبي والإمام علي عليه السلام؛ لأنهما أحق من يحترم؛ لقول النبي: «انا وعلي أبوا هذه الأمة، ولحقنا عليهم أعظم من حق والديهم، فإننا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار ولنلحقهم من العبودية

بختيار الأحرار»^(١).

قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ» البقرة / ٨٣.

فقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين ووجوب إطاعتها.

قالت سيدتنا فاطمة عليها السلام: أبوا هذه الأمة محمد وعلي، يقيمان أودهم، وينقذانهم من العذاب الدائم إن أطاعوهما، ويبيحانهم النعيم الدائم إن وافقوهما»^(٢).

وقال الحسن بن علي عليه السلام: «محمد وعلي أبوا هذه الأمة، فطوبى لمن كان بحقهما عارفاً، ولهما في كل أحواله مطيعاً، يجعله الله من أفضل سكّان جنانه ويسعده بكراماته ورضوانه»^(٣).

وقال تعالى في الأمر بالإحسان إليهما: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٣٣٨.

(٢) تفسير الإمام العسكري، ص ٣٣٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٣٦،

ص ٩.

كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» سورة الاسراء / ٢٣

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل والديكم وأحقهما لشكركم محمد وعلي» وقال علي: سمعت رسول الله يقول: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة ولحقنا عليهم أعظم من حق والديهم، فإنا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار ولنلحقهم من العبودية بختيار الأحرار»^(٤).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «من رعى حق قرابات والديه أُعطي في الجنة ألف درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الفرس الجواد المضمر مئة ألف سنة إحدى الدرجات من فضة والأخرى من ذهب والأخرى من لؤلؤ والأخرى من زمرد وأخرى من زبرجد وأخرى من مسك وأخرى من عنبر وأخرى من كافور، وتلك الدرجات من هذه الأصناف ومن رعى حق قربي محمد وعلي أُعطي من فضائل الدرجات وزيادة المثوبات على قدر زيادة فضل محمد وعلي عليهما السلام على أبيي نسبة»^(٥).

وقد أكد الإمام في أقواله على احترام الوالدين بقوله: «جراً الولد على والده

(٤) تفسير الإمام العسكري، ص ٣٣٠.

(٥) تفسير الإمام العسكري، ص ٣٣٠.





في صغره تدعو إلى العقوق في كبره»^(١)، والعلاقة هنا علاقة تربوية أخلاقية بين الوالد والولد وهي مهمة تهذيبية لبناء أساس تربوي أسري واجتماعي؛ فثقافة التربية تنعكس على أدبيات ثقافية، وأكد الإمام الحسن عليه السلام بالإحسان إلى قراباتهم بقوله: «عليك بالإحسان إلى قرابات ذوي دينك: محمد وعلي، وإن أضعت قرابات أبوي نسبك، وإياك وإضاعه قرابات أبوي دينك بتلافي قرابات أبوي نسبك، فإن شكر هؤلاء إلى أبوي دينك محمد وعلي عليه السلام أثمر لك من شكر هؤلاء إلى أبوي نسبك، إن قرابات أبوي دينك إذا شكروك عندهما بأقل قليل نظريهما لك يحط عنك ذنوبك»^(٢).

إذن، هناك ارتباط وثيق بين المعنى النسبي والسببي بالوالدين؛ ففي الولادة يكون النسبي، وفي الزواج يكون السببي فحق علي على هذه الأمة كحق الوالد على ولده، وهذا يدل على المكانة الاجتماعية التي تحلّى بها أمير المؤمنين عليه السلام. وعن الامام الرضا: إن شفقة النبي صلى الله عليه وآله على أمته شفقة الآباء على الأولاد، وأفضل أمته علي بن أبي طالب (١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٦٧٨.

(٢) تفسير الإمام العسكري، ص ٣٤٢.

أبي طالب عليه السلام، ومن بعده شفقة علي عليه السلام عليهم كشفقته صلى الله عليه وآله؛ لأنه وصيه وخليفته والإمام بعده، فذلك قال عليه السلام: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»^(٣).

• النهي عن الجدل بغير حق:

يعرّف الجدل بأنه امتداد الخصومة ومراجعة الكلام^(٤).

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت / ٤٦.

فقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى أنه لم يئنه عنه مطلقاً، وقد قرن بالعلماء ولكن نهي عن الجدل بغير التي هي أحسن، فالجدل بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين والجدل بغير التي هي أحسن محرم حرّمه الله على شيعتنا، فكيف يكون الجدل بالتي هي أحسن؟ ويعني به جدل

(٣) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٥٢، ح ٣، الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٥٨، ح ٢٩، الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ص ١٢٧.

(٤) زكريا، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٣.

وفسر الإمام العسكري عليه السلام بأنّ السيئة المحيطة به هي التي تخرجه من جملة دين الله وتنزعه عن ولاية الله وترميه في سخط الله، وهي الشرك بالله ونبوة محمد وولاية علي؛ لذا نهى الإمام عن الجدال والمراء أيضاً؛ فمن ترك المراء والجدال واقتصر على التسليم لنا وترك الأذى حبسه الله على الصراط؛ فجاءته الملائكة تجادلّه على أعماله وتواقفه على ذنوبه فإذا النداء من قبل الله (عزّ وجل): يا ملائكتي عبدي هذا لم يجادل، وسلّم الأمر لأئمتّه فلا تجادلوه وسلّموه في جناني إلى أئمتّه يكون متبجحاً فيها بقرّبهم كما كان مسلماً في الدّنيا لهم^(٢).

أظهر بحثنا نتائج عديدة في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام ومن أهمها:

- اعتمد الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره الدليل النقلي مما أثر عن أهل البيت عليه السلام، فتبينت الدلالات اللغوية والتربوية في بيانه للمقصود من الآيات القرآنية؛ فنجد مفسراً ودليلاً وبلاغياً في شرحه للوجه المقصود من المعنى القرآني.
- تصدّى الإمام العسكري عليه السلام في تفسير النصوص القرآنية كردّ قاصم لكل الشبهات التي حاولت طمس معالم أهل البيت عليه السلام؛ فنجد تفرد في التفسير للقيم التربوية والعقدية والإنسانية زيادة على إبراز المنظومة الأخلاقية.

- في الكثير من مواضع التفسير لدى الإمام عليه السلام نجده مصححاً لغوياً لترجيح معنى دون غيره بدلالة الضبط الاعرابي؛ ففي كل المواضع التي استشهد بالبحث بها كانت إجابات قد تكون للسائل أو للديانات والفرق الإسلامية المختلفة؛ كاليهود والثنوية وغيرهم إذ أرادوا أن يفسّروا القرآن بما يحلو لديهم أو وجد معناه بحسب لغاتهم.

- في روايات الامام العسكري عليه السلام

(١) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٣٣، ص ٤٠٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري، ص ٢١٥.



نجدّه يستعين بما استعان به المفسّر من أدوات في بيان مقاصد القرآن الكريم، وفيها تتضح الدلالة اللغوية بمعانيها الأصلية التي حاول البعض تأويلها بغير وجه، ولعلّ سرّ الإعجاز في ذلك هو أن عترة أهل البيت عليهم السلام ملازمون للقرآن الكريم في كلّ زمان ومكان.

المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم

١. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، د.

٢. ابن سيدة (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

٣. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ت.).

٤. أبو زيد، نصر حامد، اشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط ٩، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢.

٥. الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (ت ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

٦. الأزهرى، أبو منصور محمد بن



أحمد (ت ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، ط ١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١.

١٣. زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.

١٤. الشيخ الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الاعلمي للطباعة، بيروت.

١٥. الشيخ الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، دار المحجة البيضاء، بيروت.

١٦. الشيخ الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار، تحقيق الشيخ علي أكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت.

١٧. الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) إعلام الوري بأعلام الهدى، ط ١، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧.

١٨. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الاعلام الإسلامي، ط ١، رمضان المبارك، ١٢٠٩ هـ.

١٩. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، تهذيب الأحكام، تحقيق

٧. الإمام العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠ هـ)، تفسير الإمام العسكري، ط ١، إيران، قم، ١٤٠٩ هـ.

٨. البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ط ٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.

٩. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م.

١٠. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، نزار مصطفى الباز، د. ت.

١١. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق، دار الحديث، ط ١، (د. ت.).

١٢. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني



العدد الحادي عشر
السنّة السادسة
١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٥ م

- السيد حسن الموسوي، ط ٣، ١٣٦٤
٢٠. الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، الإرشاد، ط ٢، دار المفيد، بيروت - لبنان، ١٩٩٣.
٢١. صاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن ال ياسين، ط ١، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ.
٢٢. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.
٢٣. العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥ هـ)، الفروق اللغوية، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤١٢ هـ.
٢٤. الغدامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
٢٥. القمي، علي بن بابويه (ت ٣٢٩ هـ)، الإمامة والتبصرة، ط ١، مدرسة الإمام المهدي، قم، ١٣٦٣ هـ.
٢٦. القمي، الميرزا محمد المشهدي، كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحقيق الحاج آقا مجتبي العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٧ هـ.
٢٧. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، ط ١، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
٢٨. المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت ١١١١ هـ)، بحار الأنوار، تحقيق محمد تقي مصباح اليزدي ومحمد باقر البهبودي، ط ٣، ١٩٨٣.
٢٩. المسعودي، أبي الحسن علي (ت ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، دار الهجرة، قم، إيران، ١٩٨٤.
٣٠. مغنية، محمد جواد (ت ١٤٠٠ هـ)، الشيعة في الميزان، ط ٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٧٩ م.
٣١. مهران، محمد بيومي (ت ١٤٢٨ هـ)، الإمامة وأهل البيت، ط ٢، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٥.
٣٢. الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط ٤، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ١٣١٨ هـ.
٣٣. الميرزا النوري (ت ١٣٢٠ هـ)،

خاتمة المستدرک، ط ١، مؤسسة آل البيت
لأحياء التراث، قم، إيران، ١٤١٦هـ.

٣٤. النجفي، شرف الدين، تأويل
الآيات الظاهرة، طبعة المدرسين، قم، د.
ت.

٣٥. الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن
حجر (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة
على أهل الرفض والضلال والزندقة،
تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي
وكامل محمد الخراط، ط ١، مؤسسة
الرسالة، لبنان، ١٩٩٧ .

